السقوط

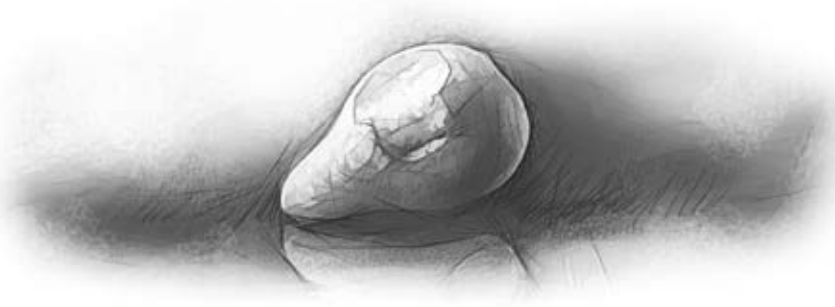

السَّبْت بَعْدَ الظُّهْر

المراجع الأسبوعية: تكوين ٣؛ كورنثوس الثانية ١١: ٣؛ رؤيا ١٢: ٧ – ٩؛ يوحنا ٨: ٤٤؛ رومية ١٦: ٢٠؛ عبرانيين ٢: ١٤؛ تيموثاوس الأولى ٢: ١٤ و١٥.

آية الحفظ: «وَأَضَعُ عَدَاوَةً بَيْنَكِ وَبَيْنَ الْمَرْأَةِ، وَبَيْنَ نَسْلِكِ وَنَسْلِهَا. هُوَ يَسْحَقُ رَأْسَكِ، وَأَنْتِ تَسْحَقِينَ عَقِبَهُ» (تكوين ٣: ١٥).

مع كل ما أنعم به الله على أبوينا الأولين جاء أيضًا الإنذار: «مِنْ جَمِيعِ شَجَرِ الْجَنَّةِ تَأْكُلُ أَكْلًا، وَأَمَّا شَجَرَةُ مَعْرِفَةِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ فَلاَ تَأْكُلْ مِنْهَا، لأَنَّكَ يَوْمَ تَأْكُلُ مِنْهَا مَوْتًا تَمُوتُ» (تكوين ٢: ١٦ و١٧). هذا الإنذار المتعلق بعدم الأكل من شجرة معرفة الخير والشر (تكوين ٢: ١٦ و١٧) يبين لنا أنه على الرغم من ضرورة معرفتهما بالخير، فكانا عليهما ألا يعرفا الشر.

من المؤكد إننا نفهم السبب، أليس كذلك؟

والتهديد أيضًا بالموت المرتبط بالإنذار المتعلق بالعصيان (تكوين ٢: ١٧) سيتحقق، إذ إنهما سيموتان (تكوين ٣: ١٩). لم يُمنعا فقط من الأكل من الشجرة، بل طُردا أيضًا من جنة عدن (تكوين ٣: ٢٤)، وبالتالي فقدا قدرتهما على الحصول على ما يمكن أن يمنحهما الحياة الأبدية كخطاة (تكوين ٣: ٢٢).

ومع ذلك، فوسط هذه المأساة يأتي رجاءً، مُعبَّر عنه في تكوين ٣: ١٥، يُسمَّى البروتوفانجيليوم، أو «وعد الإنجيل الأول». نعم تشتمل هذه الآية على وعد الإنجيل الأول في الكتاب المقدس، وهي المرة الأولى التي يُخبَر فيها البشر أنه على الرغم من السقوط، فقد جعل الله سبيلًا للهروب لنا جميعًا.

*نرجو التعمق في موضوع هذا الأسبوع استعدادًا لمناقشته يوم السبت القادم الموافق ٩ نيسان (إبريل).

الحيَّة

اقرأ تكوين ٣: ١، كورنثوس الثانية ١١: ٣، ورؤيا ١٢: ٧ – ٩. من هو الحيَّة، وبأية طريقة يخدع حواء؟

يبدأ النص بعبارة «وكانت الحيَّة»، وذلك يدل على التشديد والتأكيد، فكلمة «الحيَّة» تأتي في بداية الجملة. وتحتوي كلمة «الحيَّة» أيضًا على ال التعريف، وذلك يشير إلى إنها كائن أو شخصية مشهورة، كما لو أن القارئ ينبغي أن يعرف مَنْ هو. ولذلك فإن حقيقة هذا الكائن يتم التأكيد عليها في أول جملة في الأصحاح.

وبالطبع فإن أسفار الوحي المقدسة تؤكد على أن الحيَّة هي عدو الله (إشعياء ٢٧: ١) وتطلق عليه بكل صراحة «إبليس والشيطان» (رؤيا ١٢: ٩). وبالمثل فإن الحيَّة في الشرق الأدنى القديم كانت ترمز إلى قوة الشر.

«أما الشيطان فلكي يتمم غرضه دون أن يلحظه أحد وقع اختياره على الحية لتكون وسيلته، وهذا تنكُّر يتفق مع مقاصده الخادعة، وكانت الحية حينئذ من أحكم وأجمل الخلائق التي على الأرض. كانت ذات أجنحة، وإذ كانت تطير في الهواء كان يُرى لها منظر يتألق بالنور والضياء في مثل لون الذهب المصفى» (روح النبوة، الآباء والأنبياء، صفحة ٣٢، ٣٣).

عندما يتحدث الكتاب المقدس عن الشيطان، مهما تكن الهيئة التي يظهر بها، فإنه لا يشير إلى مجرد صور أو تشبيهات. فالشيطان في الكتاب المقدس يُصوَّر على أنه كائن حرفي وليس مجرد رمز بلاغي أو مبدأ مبهم لتصوير الشر أو الجانب المظلم للبشرية.

والحيَّة لا تقدم نفسها على أنها عدو لله. ولكن على العكس من ذلك فالحيَّة تشير إلى كلام الله وتكرره وتتظاهر وكأنها تقبله وتدعمه. وهذا هو الحال منذ البدء، إذ نرى أن الشيطان يحب اقتباس ما يقوله الله، وكما سنرى لاحقًا، يحب حتى الاقتباس من كلمة الله نفسها (متى ٤: ٦).

نلاحظ أيضًا أن الحيَّة لا تتجادل على الفور مع المرأة، لكنه يسألها سؤال يوحي بأنه يؤمن بما قاله الرب لهما. إذ سألها: «أحقًا قال الله ...» (تكوين ٣: ١)؟ لهذا نرى من البداية مقدار الدهاء والخداع الذي كان يتسم به هذا الكائن. وكما سنرى فقد نجح دهاءه وخداعه هذا.

إذا كان الشيطان قادرًا على خداع حواء الخالية من الخطية في عدن، فكم نحن معرضون لتجاربه بشكل أكبر؟ وما هي أفضل وسيلة دفاعية تساعدنا على صد مكره وخداعه؟

الثمرة المُحرَّمة

اقرأ تكوين ٢: ١٦ و١٧ وتكوين ٣: ١ – ٦ (راجع أيضًا يوحنا ٨: ٤٤). قارن ما أوصى به الله آدم بما قالته الحيَّة للمرأة. ما هو الفرق بين ما قاله الله وما قالته الحيَّة، وما هو الشيء الذي يعنيه هذا الفرق؟

لاحظ أوجه التشابه بين محادثة الله مع آدم (تكوين ٢: ١٦ و١٧) ومحادثة حواء مع الحيَّة. يبدو الأمر كما لو أن الحيَّة قد حلت محل الله الآن وتعرف أفضل منه. في البداية، سألت الحيَّة سؤالًا يوحي بأن المرأة ربما أساءت فهم ما قاله الله. إلا أن الشيطان بعد ذلك شكك علانية في مقاصد الله ونواياه وناقض كلامه.

يتعلق هجوم الشيطان بقضيتين: الموت ومعرفة الخير والشر. ففي حين أن الله قال بوضوح وبشكل قاطع أن موتهما سيكون أمرًا مؤكدًا (تكوين ٢: ١٧)، قال الشيطان أنهما، على العكس من ذلك، لن يموتا، مؤكدًا لهما أنهما خالدان (تكوين ٣: ٤). وفي حين أن الله منع آدم من الأكل من الثمرة (تكوين ٢: ١٧)، إلا أن الشيطان شجعهما على الأكل منها لأنهما عندما يأكلا منها سيصيران مثل الله (تكوين ٣: ٥).

أقنعت حجتا الشيطان المتمثلتان في الخلود والصير مثل الله، حواء بالأكل من الثمرة. والشيء المؤسف للغاية هو أنه بمجرد أن قررت المرأة عصيان الله والأكل من الثمرة المحرمة، تصرفت وكأن الله لم يعد موجودًا وظهرت على شخصيتها الحقيقية. يلمح الوحي المقدس إلى هذا التغيير في الشخصية. تستخدم حواء لغة الله. وتقييم حواء للثمرة المحرَّمة «فرأت المرأة أن الشجرة جيدة للأكل» (تكوين ٣: ٦)، يذكرنا بتقييم الله لخليقته: «ورأى الله .... أنه حسن» (تكوين ١: ٤).

إن هاتين التجربتين، تجربة أنْ يكون المرءُ خالدًا وأنْ يصير مثل الله، هما أساس فكرة الخلود في الديانات المصرية واليونانية القديمة. وهذه الرغبة في الخلود، التي كانوا يؤمنون إنها صفة إلهية، أجبرت هؤلاء الناس على البحث عن المنزلة الإلهية أيضًا، وذلك من أجل (ظنًا منهم) الحصول على الخلود. تسللت طريقة التفكير هذه خلسة إلى الثقافات اليهودية والمسيحية وأدت إلى ظهور الإيمان بخلود النفس الذي يوجد حتى اليوم في العديد من الكنائس.

فكِّر في جميع المعتقدات الموجودة اليوم والتي تعلم إن هناك شيئًا خالدًا بطبيعته فينا جميعًا. كيف يوفر لنا فهمنا للطبيعة البشرية وحالة الموتى حماية قوية ضد هذا الخداع الخطير؟

*

الثلاثاء ٥ نيسان (إبريل)

الاختباء أمام الله

اقرأ تكوين ٣: ٧ – ١٣. لماذا شعر آدم وحواء بالحاجة إلى الاختباء أمام الله؟ ولماذا سأل الله السؤال: «أين أنت؟» كيف حاول آدم وحواء تبرير سلوكهما؟

شعر آدم وحواء بالعُري بعد أن أخطأا لأنهما فقدا ثياب المجد التي كانت تعكس حضور الله (راجع مزمور ٨: ٥ وقارن ذلك بمزمور ١٠٤: ١ و٢). وقد تأثرت صورة الله بسبب الخطية. والفعل «صَنَعَ» الوارد في عبارة «وصنعا لأنفسهما مآزر» (تكوين ٣: ٧) لم ينطبق حتى ذلك الحين إلا على الرب الإله الخالق (تكوين ١: ٧ و١٦ و٢٥، إلخ). يبدو الأمر كما لو أنهما استبدلا الخالق وهما يحاولان تغطية خطيتهما، وهو فعل مشين يصفه بولس بالتبرير بالأعمال (غلاطية ٢: ١٦).

وعندما اقترب الله منهما، سألهما سؤالًا بلاغيًا (لا يُقصَد منه الإجابة): «أين أنتما؟» (تكوين ٣: ٩)، وهو نفس السؤال الذي سيطرحه الله على قايين (تكوين ٤: ٩). كان الله بالتأكيد يعلم الإجابة على هذه الأسئلة. لكنه طرح أسئلته لمصلحة المذنبين، ومساعدتهما على إدراك ما فعلاه واقتيادهم في الوقت ذاته إلى التوبة والخلاص. منذ اللحظة التي أخطأ فيها البشر والرب يعمل لأجل خلاصهم وفدائهم.

والسيناريو بأكمله يعكس في الواقع فكرة الدينونة التحقيقية، التي تبدأ بالقاضي الذي يستجوب الجاني (تكوين ٣: ٩) من أجل إعداده للحكم الذي سيُصدَر بحقه (تكوين ٣: ١٤ – ١٩). ولكنه يفعل ذلك أيضًا لحثه على التوبة، وهو ما سيؤدي في النهاية لخلاصه (تكوين ٣: ١٥). وهي الفكرة التي تتكرر في كل مكان بالكتاب المقدس.

في البداية، وكما هو الحال مع الخطاة المذنبين، حاول آدم وحواء التهرب من التهمة التي صدرت بحقهما، والسعي لتوجيه اللوم للآخرين. فقد أجاب آدم على سؤال الله بتوجيه اللوم إلى المرأة التي أعطاها له الله (تكوين ٣: ١٢)، فهي التي جعلته يقوم بذلك، وكان الذنب ذنبها) كما ألمح إلى أن ذلك كان ذنب الله أيضًا)، وليس ذنبه.

أما حواء فأجابت بأن الحيَّة هي التي خدعتها. الفعل العبراني نشا بمعنى «غرَّتني»

(فـي تكويـن ٣: ١٣)، يعنـي إعطاء النـاس آمال كاذبة وجعلهـم يعتقدون أنهـم يفعلون الصواب (ملـوك الثانـي ١٩: ١٠، إشـعياء ٣٧: ١٠، إرميـا ٤٩: ١٦).

أوقـع آدم اللـوم علـى المـرأة، قائـلًا إنهـا أعطتـه الثمـرة (جـزء مـن الحقيقـة فـي كلامـه)، وحـواء أوقعـت اللـوم علـى الحيَّـة، قائلـةً أنهـا غرَّتهـا (جـزء مـن الحقيقـة فـي كلامهـا أيضًـا). ولكنهمـا فـي النهايـة كانـا مذنبيـن.

هـل تحـاول توجيـه اللـوم لشـخص آخـر بسـبب مـا قـام بـه؟ لمـاذا مـن السـهل جـدًا الوقـوع فـي نفـس الفخ؟

الأربعاء

٦ نيسان (إبريل)

مصير الحيَّة

"وَأَضَـعُ عَـدَاوَةً بَيْنَـكِ وَبَيْـنَ الْمَـرْأَةِ، وَبَيْـنَ نَسْـلِكِ وَنَسْـلِهَا. هُـوَ يَسْـحَقُ رَأْسَـكِ، وَأَنْـتِ تَسْـحَقِينَ عَقِبَـهُ» (تكويـن ٣: ١٥). مـا الـذي قالـه الـرب للحيَّـة هنـا، ومـا هـو الرجـاء المُشـار إليـه فـي هـذه الآيـات؟

يبـدأ الله دينونتـه بالحيَّـة لأنهـا هـي التي بـدأت هذه السلسـلة من الأحـداث. والحيَّـة أيضًـا هـي الكائـن الوحيـد الملعـون في هـذه القصة.

نـرى هنـا «انعكاسًـا» للخليقـة. ففـي حيـن أن الخليقـة قـادت إلـى الحيـاة وتقديـر الخيـر والبـركات، فـإن الدينونـة تقـود إلـى المـوت والشـر واللعنـات، ولكـن أيضًـا إلـى الرجـاء والوعد بالخـلاص. وبجانـب الصـورة المظلمـة للحيَّـة المنسـحقة وهـي تـأكل التـراب (تكويـن ٣: ١٤)، يضـيء الرجـاء فـي خـلاص البشـرية، والـذي يظهر فـي هيئة نبـوة. وحتى قبـل إصـدار الدينونة بحـق آدم وحـواء التـي سـتُنفَّذ لاحقًـا، نجد أن الرب يقـدم لهما الوعد بالفـداء والخلاص (تكوين ٣: ١٥). نعم، لقد أخطأا، ونعم سـيتألمان بسـبب خطاياهما، ونعم سـيموتان أيضًـا بسـبب هذه الخطايـا. ولكـن علـى الرغـم مـن كل هـذا، فهنـاك الرجـاء المطلق – رجـاء الخلاص.

قـارن تكويـن ٣: ١٥ برومية ١٦: ٢٠ وعبرانييـن ٢: ١٤ ورؤيـا ١٢: ١٧. كيف تتجلى خطة الخـلاص وأيضًـا الصـراع العظيم في هـذه الآيات؟

لاحظ أوجه التشابه بين تكوين ٣: ١٥ ورؤيا ١٢: ١٧: التنين (الحيَّة)، غَضِبَ (عداوة)، نسلها (نسلك ونسلها)، والمرأة في عدن والمرأة في رؤيا ١٢: ١٧. الحرب (الصراع العظيم) التي انتقلت إلى عدن، مع السقوط، ستستمر حتى نهاية الزمان. ومع ذلك، فإن الوعد بهزيمة الشيطان قد أُعطي بالفعل في عدن، إذ ستُسحق رأسه، وهي مسألة تم الكشف عنها بشكل أكثر وضوحًا في سفر الرؤيا الذي يعرض لنا هلاكه الأخير (رؤيا ٢٠: ١٠). وهذا يعني أن البشرية، منذ البداية، منُحِت الرجاء المتمثل في أنه سيكون هناك طريقة للخروج من الفوضى الرهيبة التي نتجت عن معرفة الشر، وهو رجاء يمكننا جميعًا المشاركة فيه الآن.

لماذا ينبغي أن نجد تعزية عظيمة في حقيقة إن الله بدأ في إظهار خطة الخلاص في عدن - المكان الذي بدأت فيه الخطية والشر على الأرض؟

الخميس

٧ نيسان (إبريل)

يَسوعُ وسيط عَهدٍ أفضل

تركز الأصحاحات ٨ - ١٠ من الرسالة إلى العبرانيين على عمل الرب يسوع كوسيط لعهد جديد. لقد كانت مشكلة العهد القديم تتمثل في أنه كان ببساطة ظلاً للأمور العتيدة، وقد صُممت قوانينه للتنبؤ بالعمل الذي سيقوم به الرب يسوع في المستقبل وتوضيحه. وبالتالي فالكهنة كانوا يرمزون للرب يسوع، لكنهم كانوا بشرًا وخطاة. لم يتمكنوا من توفير الكمال الذي استطاع المسيح أن يوفره، كما أنهم كانوا يخدمون في مقدس شبه السماويات وظلها (عبرانيين ٨: ٥).

أما الرب يسوع فيخدم في المَقدِس الحقيقي ويمكننا من الوصول إلى الله. لقد كانت الذبائح الحيوانية ترمز إلى موت الرب يسوع كذبيحة نيابة عنا، ولكن لم يكن لدمها المقدرة على تطهير الضمير. أما دم يسوع فيطهّر ضمائرنا، ومن خلاله والإيمان به وقبول عمله الشفاعي (كوسيط) لأجلنا، نستطيع أن نقترب من الله بثقة (عبرانيين ١٠: ١٩ - ٢٢).

اقرأ عبرانيين ٨: ٨ - ١٢. ما هو وعد الله لنا في العهد الجديد؟

إن الآب بتعيينه الرب يسوع كرئيس كهنتنا قد بدأ عهدًا جديدًا سيحقق ما لم يقدر العهد القديم إلا على توقعه. والعهد الجديد يحقق ما لا يقدر إلا الكاهن الكامل والأزلي الذي له طبيعة بشرية وإلهية على تحقيقه. إن رئيس الكهنة هذا لا يشرح ناموس الله

فحسب، بل يغرس الناموس في قلوبنا. وهذا الكاهن يقدِّم ذبيحة تجلب مغفرةً، ويطهرنا، ويغيّر قلوبنا ويحولها من قلوب حجرية إلى قلوب لحمية (حزقيال ٣٦: ٢٦). وهو يخلقنا من جديد بكل معنى الكلمة (كورنثوس الثانية ٥: ١٧). كما أنه يباركنا بأروع الطرق ويساعدنا على الدخول إلى محضر الآب نفسه.

صَمَّم الله العهد القديم للإشارة إلى المستقبل، إلى عمل الرب يسوع. لقد كان جميلًا في تصميمه والقصد منه، إلا أن البعض أساءوا فهم الغرض الذي صُنِع لأجله. ولعدم رغبتهم في ترك الرموز والظلال وقبول الحقائق التي تشير إليها الرموز، فقد أضاعوا المزايا العظيمة التي توجد في خدمة الرب يسوع والتي أراد أن يقدمها لهم.

«لقد كان المسيح هو أساس الهيكل وحياته. وكانت الخدمات التي تقام فيه رمزا إلى ذبيحة ابن الله. وكان نظام الكهنوت قد أقيم كرمز لشفاعة المسيح وعمله. إن نظام الذبائح المختص بالعبادة كله كان رمزا لموت المخلص لأجل فداء العالم، ومتى تمت الحادثة العظيمة التي كانت تلك الذبائح تشير إليها منذ أجيال طويلة فلن تكون لها أية فاعلية أو تأثير.» (روح النبوة، مشتهى الأجيال، صفحة ١٤٨).

الجمعة

٨ نيسان (إبريل)

لِمَزِيد مِنْ الدَّرس: فكر في العلاقة بين «شجرة الحياة» و «شجرة معرفة الخير والشر». لقد تم بالفعل التعبير عن هذه العلاقة في الحقيقة المتمثلة في أنهما يوجدان «في وسط الجنة» (تكوين ٢: ٩). لكن بين الشجرتين ما هو أكثر من مجرد علاقة جغرافية. فعندما أخذ البشر من ثمرة شجرة معرفة الخير والشر وعصوا وصية الله، فقدوا قدرتهم على الوصول إلى شجرة الحياة، ولم يستطيعوا العيش إلى الأبد، على الأقل وهم في هذه الحالة. ويكمن خلف هذه العلاقة مبدأ عميقًا جدًا. فالاختيارات الأخلاقية والروحية تؤثر على الحياة البيولوجية، كما أوصى سليمان ابنه: «يَا ابْنِي، لاَ تَنْسَ شَرِيعَتِي، بَلْ لِيَحْفَظْ قَلْبُكَ وَصَايَايَ. فَإِنَّهَا تَزِيدُكَ طُولَ أَيَّامٍ، وَسِنِي حَيَاةٍ وَسَلاَمَةً» (أمثال ٣: ١ و٢). ويتكرر ظهور هذه العلاقة في أورشليم السماوية المستقبلية التي لا يوجد فيها سوى شجرة الحياة «فِي وَسَطِ سُوقِهَا» (رؤيا ٢٢: ٢).

«عندما خلق الله حواء، فقد قضى ألا تكون أقل مكانةً من الرجل وألا تتفوق عليه، بل أن تكون متساوية معه في جميع الأشياء. وألا يكون لديهما ميول أو مصالح منفصلةً عن بعضهما البعض، ومع ذلك فقد كان لكل واحد منهما شخصيته الفريدة فيما يتعلق بالتفكير والتصرف. ولكن بعد خطية حواء، حيث أنها أخطأت أولًا، أخبرها الله إن آدم سوف يتسلط عليها، وإنها ينبغي أن تخضع لزوجها، وكان هذا جزءًا من اللعنة. وقد جعلت اللعنة نصيب المرأة في الكثير من الحالات مؤلمًا ووخيم العواقب وحياتها حملًا ثقيلًا. وقد أساء الرجل استخدام التفوق (المكانة العالية) التي أعطاها الله له في كثير من النواحي من خلال ممارسة السلطة الجائرة. لقد دبَّرت حكمة الله غير المحدودة خطة الفداء التي تضع

الجنس البشري في اختبار ثانٍ بإعطائهم تجربة أخرى» (روح النبوة، شهادات للكنيسة، المجلد الثالث، صفحة ٤٨٤).

أسئلة للنقاش

١. واجه الله آدم في عدن وسأله أسئلة ليس لإثبات ذنبه فحسب، بل لاقتياده أيضًا للتوبة. ويتكرر ظهور هذه الفكرة مع قايين (تكوين ٤: ٩ و١٠)، والطوفان (تكوين ٦: ٥ – ٨)، وبرج بابل (تكوين ١١: ٥)، وسدوم وعمورة (تكوين ١٨: ٢١). كيف تنكشف فكرة الدينونة التحقيقية في هذه الحوادث؟

٢. لماذا ظنت حواء أن الأكل من شجرة معرفة الخير والشر سيمنحها الحكمة؟ وكيف يمكننا نحن أن نتجنب، في سياقنا، ارتكاب خطأ مشابه، أي تحدي كلمة الله علانية على أمل الحصول على شيء «أفضل» مما قدمه لنا الله؟